البحث

مكتبة فرنسا الكبرى مشروع طموح لماذا لا نحتذى به؟

تأليف

الدكتورة/ أمنية مصطفى صادق

قسم مكتبات - كلية الآداب

جامعة المنوفية

ابريل ١٩٩٢

مكتبة فرنسا الكبرى مشروع طموح

لماذا إنحتفى به ؟

د . أمنية مصطفى صادق
قسم مكتبات – كلية الآداب
جامعة المنوفية

مقدمه

حين أعلنت اليونسكو عن مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية ، بات أمناء المكتبات والمعلومات يحللون كل ما ينشر عن مكتبة الاسكندرية بدون إستثناء ، إلا أن الكتابات جاءت غير شافية لإنها أنصبت على الخطوط العريضة التى تتناول الموضوعات التالية :

- الدور التاريخى لمكتبة الاسكندرية فى الحضارة الانسانية .
- نوعية مقتنياتها فى فترة ازدهارها .
- الموقع المقترح للمكتبة والتصميمات المعمارية المقترحة .
- دور هذا المشروع فى توفير جهد الباحثين بوجه عام دون تحديد لنوعية المقتنيات أو المجال الموضوعى .

إن إقتصار النظر على هذه الخطوط العريضة وعلى الجوانب التاريخية مع إهمال ما ينبغى أن يكون عليه التخطيط للمستقبل هو عائق أكثر مما هو معين على إخراج هذا المشروع الى حيز الوجود مع وجود الضمانات العلمية الكفيلة بإستمرارية المشروع . فالكتابات التى تناولت مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية قد أهملت مناقشة الكثير من النقاط الجوهرية كتحديد نوعية المقتنيات فى الوقت المعاصر ، ونظم الإسترجاع المقرر استخدامها ، وفئات المستفيدين المتوقع إستقبالهم ، وغير ذلك من الأمور الحيوية فى مجال المكتبات ، وإن ذكر بعضها جاء هذا الذكر بصورة شبه عارضة غير معروف مصدره .

أولا : الهدف من هذا البحث :

ولأهمية موضوع إحياء مكتبة الإسكندرية وأثره الكبير على الفكر والثقافة والبحث العلمى فى المنطقة العربية بشكل عام وفى مصر بشكل خاص ، كان من الضرورى بحث ودراسة المشروعات المماثلة فى الدول المتقدمة . ومن حسن الطالع أن نجد مشروعا شبيها فى كثير من العناصر ومتزامنا مع مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية ، وهو مشروع مكتبة فرنسا او " المكتبة الكبرى " كما يحلو للبعض الاشارة اليها . ففى حين وقع إختيارنا على " مكتبة فرنسا الكبرى " كان هناك العديد من المشروعات المواكبة للتطور الحادث فى عالم المكتبات فى بعض البلدان نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : اليابان ففى اليابان نجد مشروع مضاعفة حجم المكتبة القديمة وهى مكتبة الدايت Diet Library بطوكيو . والمكتبة القومية الحديثة بكان ساى – Kansai - Kai والتى تقع بالقرب من اوزاكا Osaka وكيبوتو Kyoto مع ازدواجية الإيداع القانونى للمطبوعات وذلك حماية من توقعات الزلازل المتكررة فى اليابان هذا بالإضافة الى الإستفادة التامة من التكنولوجيا الحديثة على أوسع نطاق .

وجدير بالذكر أيضا إن هناك مكتبات حديثة تحت الإنشاء فى كل من شيكاغو Chicago ولـوس انجلوس Los - Angelos وسـان فرانسيسكو San-Francesco بالولايات المتحدة الأمريكية والتى يتوقع إتمامها فيما بين ١٩٩١ و ١٩٩٥ .

وحين شرعت فى البحث عما كتب عن " مكتبة فرنسا " ، وجدت نفسى بين كتابات شاملة لجميع عناصر الموضوع ، متناولة الأفكار الكلية والجزئية بعناية ودقة ، كما وجدت أن جميع المهتمين بشئون الثقافة قد أبدوا آراءهم فى هذا الموضوع الحيوى ، ولم يقتصر الأمر على المتخصصين وخبراء المكتبات بل شارك فيه الجميع مما جعل الإطلاع على هذه الأفكار متعة فكرية لما تحتويه من حقائق وعناصر واقعية نادرة عن المشروع وهن حاجات المستفيد عملا بأحدث نظريات علم المعلومات .

وهدف هذا البحث هو طرح الأفكار والآراء التى دارت – ومازالت دائرة – فى كثير من حلقات المناقشة المعنية بمشروع مكتبة فرنسا بالإضافة الى ما جاء فى التقارير الفنية الخاصة بتخطيط هذا المشروع سواء حظيت بالنشر أو لم تنشر بعد . فإن عرض وتحليل الافكار والآراء بقطبيها السالب والموجب هو هدف فى حد ذاته وليس الوصول الى رأى قاطع فى مشروع خارج أرضنا العربية هو الهدف الحقيقى بالرغم من وجود أوجه التشابه فالإقتداء بنوعية الدراسات ووسائل البحث وطرق جمع المعلومات اللازمة لهذا المشروع هو الأمر الجدير بالأخذ فى الإعتبار عند النظر فى مشروعات مماثلة أو شبه مماثلة .

إن مصادر هذا البحث ثلاثة أولها هو الدراسات الخاصة باللجان المكلفة رسميا من قبل الحكومة الفرنسية ، وهى لجان متخصصة من العاملين فى حقل المكتبات ونشر الكتاب ، وهذه اللجان مكلفة بإجراء الأبحاث الميدانية وجمع الإحصاءات المباشرة وغير المباشرة وتقديم تقارير فنية فى جزئيات مستقلة مثل : التزويد ، نوعية المقتنيات المستفيدين ، الوسائل السمعية والبصرية ، نظم الإسترجاع الإلكترونى ... الخ . وعلى الرغم من أن هناك تداخلا بين موضوعات تخصص اللجان إلا أن هذا التداخل مطلوب فى حد ذاته حتى يتسنى للجنة العليا رؤية نقاط الإتفاق فى وجهات النظر للجان المختلفة وأيضا نقاط التعارض والإختلاف أو ما يمكن ان يطلق عليه نقاط التضارب ليكون هناك مرحلة متقدمة فى البحث تحاول فيها اللجنة العليا الوصول الى أسباب هذا التعارض فى الآراء بين اللجان المختلفة . فعلى سبيل المثال إذا ما إشتركت لجنة التزويد ولجنة نوعية المقتنيات فى نقطة ما وكان هناك إختلاف فى الرأى بين اللجنتين أصبح من الواضح للجنة العليا ان هذه الجزئية فى حاجة الى مزيد من الدراسات والفحص للوصول الى أسباب هذا التعارض أو هذا الخلاف فى الرأى ومن ثم وضع الحلول المناسبة .

أما ثانى هذه المصادر فهو الآراء التى نشرت فى الصحف والمجلات وهى للكتاب والصحفيين والأفراد المهتمين بقضية المكتبات وهم كثيرون فى فرنسا .

وهذا المصدر يمثل منبر المستفيد من الدرجة الأولى .

أما المصدر الثالث فهو الكتب التى صدرت بالفعل بصدد هذا الموضوع وهى تعتبر قليلة نسبيا ولكنها تقدم خلاصة المصدرين السابقين ، بالإضافة الى ما جاء فى الندوات واللقاءات التى نظمتها المؤسسات العلمية .

ثانيا : المشروع الطموح :

فى صيف عام ١٩٨٨ طمح رئيس الجمهورية الفرنسية – فرانسوا ميتران – فى نطاق السياسة العامة الهادفة إلى تدعيم ثروة البلاد من الكتب والمكتبات وتمكينها من تعويض تأخرها عن ملاحقة الجهود المبذولة فى الدول المتقدمة (مثل الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا واليابان) ، طرح فكرة إنشاء مكتبة كبرى ذات طابع جديد تماما ، محددا ما يراه من سمات أساسية لهذه المؤسسة الجديدة . وهذه السمات هى :

- تغطية جميع ميادين المعرفة .
- فتحها لجميع فئات المتطلعين .
- استخدام أحدث الأساليب التكنولوجية .
- إمكان استخدامها عن بعد .
- تعاونها مع غيرها من المكتبات الأوربية(١) .

وقد كانت هذه الفكرة – أو بالأحرى هذا المشروع – منطلقا لسيل جارف من الأبحاث والجدل الذى لايزال مستمرا فى بعض جوانبه حتى الآن. أبحاث تناولت العديد من معالم المشروع سواء من حيث الجانب المعمارى والهندسى والموقع ، أو من حيث المضمون المحدد لتلك المكتبة الكبرى وأهدافها ووسائلها ، أو

---

(١) خطاب الرئيس ميتران وبيان رئيس الوزراء آنذاك ميشيل روكار . أغسطس ١٩٨٨ وكذلك خطاب الأخير الى كل من مدير إدارة الإعلام العام بمركز بومبيد ورئيس مجلس إدارة المكتبة القومية فى ١٩٨٨/٨/١٢ .

من حيث علاقة المؤسسة(١) الجديدة بالمكتبات القائمة بالفعل وعلى رأسها بطبيعة الحال المكتبة القومية ذات الشهرة العالمية . وبالطبع فإن لتلك الفكرة جذورا ترجع بصفة أساسية الى رغبة الرئيس الفرنسى فى أن تتبوأ فرنسا مركزا ثقافيا مرموقا بين دول أوروبا الموحدة مستقبلا .

ويهدف هذا المشروع أيضا الى معالجة الأسباب التى جعلت المكتبة الأولى فى فرنسا – المكتبة القومية والقائمة فى قلب باريس – تتعثر فى ملاحقة نظيراتها من المكتبات القومية فى الدول الغربية الأخرى .

ولعل أهم هذه الأسباب هو ضيق المكان الذى لم يعد يتسع لمزيد من ثروتها المقدرة بنحو ١٠ مليون مؤلف والذى أدى الى خلق طابور من القراء بصفة منتظمة فى إنتظار خلو مقعد فى قاعة الاطلاع الرئيسية بالمكتبة القومية إبتداً من ساعات الظهيرة وحتى الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر ، هذا فضلا عن أن الإعتمادات المالية المتاحة لم تكن كافية منذ سنوات عديدة لإنتهاج سياسة إقتناء فعالة ومناسبة لإحتياجات قراء هذه المكتبة من المراجع الخارجية(٢) .

وليس من هدف هذا البحث تتبع مختلف الخطوات التى مر بها مشروع المكتبة الكبرى الجديدة والتى إستقر الرأى على تسميتها " مكتبة فرنسا " ولكننا نعتقد أن من المفيد إبراز بعض القضايا التى ثارت فى هذا الصدد والتى قد تحمل بعض الدروس المفيدة للجهود الرامية الى دعم ثروة خدمات المعلومات فى بلاد أخرى غير فرنسا .

ثالثا : التغطية الشاملة لمجالات المعرفة :

يبدو إن القيادات السياسية الفرنسية عندما أرادت أن يكون هدف هذه المكتبة التغطية الشاملة لجميع مجالات المعرفة لم تستشر أهل التخصص مسبقا .

---

(١) استخدمت كلمة المؤسسة الجديدة بدلا من المكتبة الجديدة فى كثير من المؤلفات والتقارير الرسمية إشارة الى شمولية نشاطها وعدم اقتصاره على دور المكتبة التقليدية .

(٢) يقصد خارج فرنسا .

حيث أن نظريات التعاون والسياسات التطبيقية لها فى مجال خدمات المعلومات كانت قد أثبتت فاعليتها منذ سنوات طويلة فى كل من إنجلترا ، والولايات المتحدة الأمريكية . ولم يكن الهدف من هذا التعاون إلا التغلب على صعوبة تحقيق التغطية الشاملة لرغبات المستفيدين المتعددة والمتجددة والمتطورة ، وفى نطاق ميزانية محددة ومع التضخم الهائل لأوعية المعلومات . وكثرت التعليقات ودار النقاش بأن مثل هذا الهدف وهو التغطية الشاملة لجميع مجالات المعرفة هو فى الحقيقة هدف بعيد كل البعد عن الواقعية . وسرعان ما جاء البراهين من الواقع الفرنسى . فذكر أحد المعلقين أن عدد المؤلفات المقتناه فى إحدى المكتبات عن تاريخ اليونان وروما القديمة وحدها يبلغ سنويا ١٥٠ر٠٠ مؤلف ، وهو فرع من فروع التاريخ أى أن الزيادة فيه زيادة محدودة إذا ما قورنت بالمجالات الديناميكية فى المعرفة مثل التكنولوجيا وعلوم الفضاء والطب بفروعه الحديثة .

لذلك فقد برزت أثناء المناقشات فكرة هامة هى هل مكتبة فرنسا سوف تعتبر قلبا نابضا تربطه بمختلف المكتبات الفرنسية والأجنبية الأخرى شبكة من الإتصالات تكفل فرصا لزائرها القدرة على الحصول على أى مرجع شاء من أية مكتبة بفضل هذه الشبكة التى ستقوم على أحدث الأجهزة الإلكترونية القادرة على مساعدة القارئ على التعرف على ما يهمه من مراجع ، ثم على الحصول على ما يختاره فى وقت سريع بقدر الإمكان سواء كان عن طريق الإعارة من خلال نظام البريد السريع أو بالتصوير ، أو من خلال النقل عبر أجهزة الإتصال الإلكترونى المختلفة كالإتصال المباشر أو الفاكسميل ... الخ .

ويعنى هذا ان مكتبة فرنسا لن تكون متخصصة أو ذات ميل الى التخصص ، كما هو الأمر حاليا فيما يتعلق بالمكتبة القومية التى يتركز إهتمامها على التاريخ والإنسانيات بصفة عامة . وإنما مكتبة متعددة الأقسام لايغلب فيها قسم على آخر .

ومن القضايا التى آثارت أبحاثا كثيرة فى هذا الصدد قصر أو عدم قصر "المؤسسة الجديدة" على الكتب والمجلات الورقية التقليدية ، الأمر الذي يشير به

الأصل اللغوى لكلمة " مكتبة " باللغات الأوربية : صندوق الكتب Bibliothèque

وقد تغلب فى هذا الشأن الرأى القائل بتوسيع إختصاص المؤسسة الجديدة بحيث تشمل الى جانب الأدوات التقليدية أدوات أخرى للمعرفة فى مقدمتها الأفلام وأشرطة الفيديو وأسطوانات الليزر وتسجيلات التليفزيون والراديو واللوحات والصور الفنية وغير الفنية والمخطوطات بل إن الميل كل الميل الآن أصبح لاقتناء الأوعية الإلكترونية (اسطوانات الليزر CD - Rom) لما تعطيه هذه الإسطوانات من إمكانية بث المادة العلمية عبر خطوط الهاتف الى المنازل والمكاتب على مستوى الفرد . وبذلك يتم تجنب الوسائل التقليدية فى الإستعارة وما قد تثيره من صعوبات . هذا بالإضافة الى توفيرها للحيز المكانى ، وتوافر الامكانيات المنطقية الواسعة فى بحث المادة العلمية المجملة على الاسطوانات ، مع سهولة حفظ وصيانة مثل هذه النوعية من أوعية المعلومات وعدم تعرضها للتلف السريع .

فالمكتبة الجديدة سوف تكون صندوقا للإعلام " على حد تعبير أحد التعبيرات المستخدمة Médiathéque وسند هذا الرأى أن قنوات المعرفة الحديثة لم تعد قاصرة على " الحامل الورقى " ، بل تشمل كل ما ذكر فى موضوع ما قد يكون له أثر وأهمية لاتقل عن الكتاب أو المقال .

ومن الأمثلة المقنعة على ذلك ما ساقه البعض بشأن حرب تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسى . فمن المراجع الأساسية الهامة للتعرف على تاريخ هذه الحرب ما هو متاح من أفلام صورت عددا من معالم هذه الحرب التى شغلت فرنسا والرأى العام الفرنسى منذ عشرات السنين .

ولايمكن لأحد أن ينكر ما لهذه الأفلام من قيمة مرجعية تزيد على مئات الصفحات من الوصف فى كتب أو مقالات . وأيا ما كانت وجاهة هذا الإختيار – إختيار تعدد عوامل مضمون الثروة المحتفظ بها فى مكتبة فرنسا – فمما لاشك فيه أن هذا يعنى فقط تجميع " أوعية " مختلفة وأقساما موضوعية متباينة فى ظل مؤسسة واحدة يطلق عليها نفس التسمية القديمة " المكتبة Bibliotheque " تجاوزا عن المعنى الضيق الذى تشير إليه لغويا وتاريخيا .

رابعا : المبنى بين التصميم والإستخدام :

وإذا كان تصميم مكتبة الأسكندرية الذى وقع عليه الإختيار قد وجهت إليه الإنتقادات الهندسية للارتفاع الشاهق .

ولنا وقفة عند إختيار مبنى مكتبة فرنسا فقد تم إجراء تصفية لـ ٢٥٠ مشترك - فى مسابقة تصميم المبنى - منهم ١٤٠ اجنبا (ليس فرنسا) ومن خلال لجنة التحكيم تم إختيار ٤ تصميمات بصفة نهائية ليقوم رئيس الجمهورية الفرنسية بإختيار مشروع تقدم به مهندس فرنسى الجنسية مغمور لم يتجاوز عمره آنذاك ٣٦ عاما وهو دومونيك بيرو Domenique Peraut .

والتصميم الفائز عبارة عن مبنى يتكون من أربعة أبراج كل منها يصل إرتفاعه الى ٨٦ متر يفصل بين هذه الأبراج الأربعه حديقة مستطيلة (٥٨ متر × ١٨٧متر) وتمتد هذه الحديقة أسفل المستوى الأرضى للطريق العام بعمق٢١ متر .

إن تصميم مكتبة فرنسا قد حرص على إظهار فكرة الرمزية على الشكل الخارجى للمبنى فإن الأبراج الأربعة المكونة لمكتبة فرنسا ما هى إلا رمز لكتب أربعة مفتوحة بزاوية قائمة .

كما حرص بيت الخبرة النرويجى فى تصميم مكتبة الاسكندرية بأن يكون الشكل الخارجى للبناء ذا مدلول يرمز إلى الشمس عند الشروق .

والمساحة الإجمالية(١) لمبنى مكتبة فرنسا يصل الى ٢٥٣٠ر٢ متر مربع موزعة كالآتى :

- إستقبال ، إطلاع داخلى ، خدمة مرجعية .

٦٢٢ متر مربع أى ٦ر٢٤٪ من المساحة الكلية

- صحف ودوريات .

٨٠٢ متر مربع أى ٧ر٣١٪ من المساحة الكلية .

---

(1) Blaselle, Bauno:Bibliotheque National memoire de l'avenir P. 56

- أعمال إدارية وأفراد .

٤٢٣ متر مربع أى ٨ر١٦٪ من المساحة الكلية .

- خدمات فنية .

٦٨٢ متر مربع أى ٩ر٢٦٪ من المساحة الكلية .

أما عن إكتمال المبنى وإفتتاحه للجمهور فقد تضاربت الأقوال بشكل ملحوظ حيث يؤكد مولو Melot فى اكثر من موقع بأن عام ١٩٩٥ هو موعد التحدى الذى قبلته فرنسا لتثبت للعالم أنها مازالت عاصمة النور والحضارة . نجد ان بلاسل (١) Blaselle قد اكد إن هناك جزءا من المبنى سوف يكون معدا للإفتتاح عام ١٩٩٣ والثانى فى عام ١٩٩٦ على الرغم من إن المخطط لإفتتاح المكتبة بالكامل قد حدد له عام ١٩٩٤ .

خامسا : نوعية هذه المكتبة :

ويظهر فى هذا الشأن أيضا تنوع وتعدد أهداف مكتبة فرنسا والتى تصل فى بعض الأحيان الى درجة التناقض الواضح :

- طابع " المكتبة العامة " حيث لخدمات المعلومات على نمط (مكتبة جورج بومبيدو) أى مكتبة تستقبل أساسا قراء يرغبون فى الحصول على معلومة أو معلومات معينة عن موضوع محدد أيا ما كان ذلك الموضوع أو يرغبون فى الإطلاع على الدوريات اليومية أو الأسبوعية .
- طابع " المكتبة المتخصصة " ومكتبة الباحثين أى اولئك الذين يجرون أبحاثا على درجة من التخصص سواء كانت ذات طابع قصير أو مسترسل بعض الشئ ، فهذا هو جمهور المكتبة القومية(٢) المفضل .

---

(١) انظر المرجع السابق

(٢) يقصد بها المكتبة القومية الفرنسية Bibliothèque National

- طابع " المكتبةالجامعية " التى تستهدف إستقبال طلبة المراحل المختلفة للتعليم الجامعى على الأخص ، وكثير منهم يأتى الى المكتبة فى المرتبة الأولى – لا لكى يطلب بعض المراجع – وإنما للمذاكرة فيما لديه من أدوات شخصية ، مستفيدا بذلك من المكان المجهز تجهيزا لائقا لساعات طويلة من الدراسة والتركيز ، حيث الدفء فى الشتاء والتهوية فى الصيف ، بالإضافة الى الإضاءة المناسبة والجو العام المشجع على الدراسة وذلك عوضا عن المذاكرة فى المنزل أو فى المكتبات الجامعية التى ضاقت بعدد طلابها (ويمكن زيارة مكتبة جامعة السوربون فى أى يوم من أيام الأسبوع لمشاهدة الازدحام فيها بما لايترك مقعدا خاليا وانه لمن المناظر المألوفة رؤية الطلبة وقد إفترشوا الأرض أثناء القراءة) .

ومن المستهدف فى مكتبة فرنسا توفير ٢٠٠٠ مقعد لقسم الإطلاع والدراسة و ١٢٠٠ مقعد لقسم البحث فى المبنى الجديد مع التشدد فى استقبال رواد القسم الأخير بما لاينطبق على القسم الأول المفتوح على مصراعيه للجميع(١) .

وليس من شك أن هناك شيئا من التناقض بين الرغبة فى الإنفتاح للجميع ومن ثم زيادة عدد المرات التى يوفر فيها مرجع أو مخطوط أو نسخة نادرة وبين الرغبة المشروعة لكل مكتبة فى الحفاظ على ثروتها . فكلما زاد توفير المرجع زاد إحتمال المساس به ولو ماديا فقط .

ولكن من ناحية أخرى ليس الغرض من أى مكتبة ان تصبح " مقبرة " تحفظ فيها المراجع وتحبس عن المستفيدين من المكتبة . ومن الحلول المقترحة للتغلب على هذا التناقض – الحل الذى اصبح الآن تقليديا بعض الشئ – وهو التصوير الميكروفيلمى وإن كان الكثيرون يفضلون بطبيعة الحال الاشكال التقليدية

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٥٩ ، ٧٦ .

وهى الورقية ، لأكثر من سبب ، فبالإضافة الى العادة القرائية فهناك الوعى الصحى المنتظر وهو تقليل إشعاعات الآلة كلما أمكن ذلك .

وجدير بالذكر أن حلول المحافظة على النسخ النادرة اكتفت بالتصوير الميكروفيلمى ولم تتطرق الى التصوير الإلكترونى والتسجيل على إسطوانات الليزر على الرغم من أهمية هذه الطريقة وسرعة إنتشارها فى أوروبا بعد انتشارها فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وأيا كان الأمر فقد لفت تقرير مجموعة العمل(١) نظرنا الى أن المشكلة فى فرنسا أضف بكثير مما هى عليه فى دول أخرى . فعدد المترددين على المكتبات فى فرنسا لايزيد وفقا لإحصاءات عام ١٩٨٨ عن ١٧٪ من السكان مقابل ٢٠٪ فى المانيا و ٣١٪ فى انجلترا ونحو ٥٠٪ فى الدنمارك . هذا بالاضافة الى مقارنة أخرى شيقة هى ان عدد المقالات(٢) المطلوب إعداد صور لها سنويا هى ٢١٠٠٠ فى فرنسا مقابل ٤٠٠٠٠ فى المانيا و ٧٠٠٠٠ فى انجلترا . ونستطيع ارجاع هذه الزيادة الهائلة فى إنجلترا والتى قد تصل الى أكثر من ثلاثة أضعاف الأرقام الفرنسية هو وجود British Library Lending Devision (BLLD) فى شمال إنجلترا .

هذه الأرقام كانت الحافز الأساسى لدفع القيادة الفرنسية الى وجوب الإنفاق على الجميع ، تعبيرا عن الرغبة فى المزيد من ديمقراطية الإطلاع والعلم ومن ثم فى مزيد من رواد المكتبات بفرنسا أسوة بغيرها .

---

(1) Publics de la Bibliotheque de France; Rapport de Syntese groupe de travail, (unpublished report, Paris) 1990 p.4.

(2) Bibliotheque de France; bliotheque ouverte; Acte du colloque du 11 September 1989- Paris : MEF. 1990 p.86.

سادسا : التعرف على المستفيدين :

كذلك من الأعباء الثقيلة التى ألقاها الرئيس ميتران على عاتق المؤسسة الجديدة " إنفتاحها للجميع " ، فهى بذلك تتميز تميزا واضحا عن "المكتبة القومية" بباريس والتى تعمل بصفة منتظمة على الحد من المستفيدين أى القراء ، طالبة التبرير الكافى لإصدار تصريح بالدخول (عدد محدد من المرات) وبمقابل ليس بقليل فيما يتعلق بتصـــريح الاشتراك للقراء (إشتراك سنوى ثمنه حاليا نحو ٩٠ جنيها مصريا) . وقد أدى بحث هذا المطلب ودراسة امكانية تحقيقه الى العديد من الأبحاث الشيقة عن " المستفيدين " من القراء والمنتظر إستقبالهم فى المكتبة الجديدة ، وفى مقدمة هذه الأبحاث ما جاء فى التقرير الذى نشر فى مارس ١٩٨٩(١) عن عدد القراء المرتقب بلوغه عند إفتتاح المكتبة ، فقد توصل فريق البحث أن هناك نحو ٧ مليون شخص فى العا م من المنتظر ترددهم على المكتبة فى السنة أى إن هناك معدل عشرين ألف قارئ فى اليوم الواحد وهذا الرقم يشمل العديد من الفئات العمرية والتخصصية أيضا . وعلى الرغم من إختلافنا فى عدد الأبحاث المنشورة في هذا المضمار نتوقع إرتفاع هذا الرقم بعدة آلاف قياسا على عدد القراء المترددين على مكتبة مركز " جورج بومبيدو "(٢) إلا أن ما يهمنا فى هذا المضمار هو كيف إستطاع فريق العمل المكلف بالدراسة البحثية لهذه المشكلة التوصل الى هذا الرقم ؟ .. وللإجابة على هذا السؤال نجد أن فريق العمل قام بجمع كل الدراسات والإحصاءات التى تم تسجيلها فى المجالات التاليـــة :

---

(1) Publics de la Bibliotheque de France; Rapport de Syntese par Jacqueline Freyssinet Dominion (Paris) ; Etablissement Public de la Bibiotheque de France, Mars 1990

(٢) ان متوسط عدد المترددين على مكتبة جورج بومبيدو اليومى هو ١٣ الف قارئ ، على الرغم من ضيق حدود التغطية الزمنية لمجموعة أوعية المعلومات المتوفرة . مما يشير الى إحتمال زيادة الرقم المقترح لقراء مكتبة فرنسا الى نحو ١٥ الف قارئ فى اليوم عن الرقم المذكور . خاصة إذا التزمت المكتبة بالخط التكنولوجى أى توفير أوعية المعلومات السمع بصرية .

١ - الفئات العمرية فى المراحل التعليمية .

٢ - الحاجة إلى إستخدام المكتبة (بالمفهوم العريض لاحتياج المجتمع الى المعلومات)

٣ - الإهتمامات الثقافية (وتشمل المعارض بمختلف أنواعها وفئات المترددين عليها) .

٤ - إحصاءات المكتبات الباريسية (بأنواعها المختلفة) .

٥ - التوزيع الجغرافى للسكان فى العاصمة الباريسية وضواحيها .

٦ - العادات القرائية للأجناس المختلفة المقيمة فى فرنسا .

ومن هذه العناصر وما لحقها من فروع تم إستخراج الكثير من الجداول الاحصائية واكتملت الصورة الى بنيت على أساسها الارقام السابقة .

سابعا : الفهرس الموحد :(١)

لاتقل اهمية خدمة المستفيد عن المحافظة على التراث فى المكتبات وعليه فقد اولى المخطط الفرنسى أهمية واضحة لإنشاء " فهرس قومى موحد " يعتبر احد العناصر الأساسية فى المشروع الجديد فمن المسلم به ان توفير فهرس بالمقتنيات هو العمود الفقرى لكل مكتبة وبدونه تصبح مجموعة المقتنيات لافائدة من ورائها . وتمتد أهمية الفهرس وتزداد فائدته حين يوحد على المستوى القومى فيكون بمثابة كنز قومى للمعلومات البيليوجرافية مثال : الفهارس الانجلو أمريكية OCLC والتى توفر اكثر من ٢٠ مليون بيان بيليوجرافى لأكثر من ٦ الاف مكتبة . هذا بالإضافة الى العديد من الخدمات البيليوجرافية الأخرى المرتبطة بالإختيار والتزويد والاشتراك .

---

(١) يضم الفهرس الموحد الفرنسى فهارس ٢٨٠٠ مكتبة ومركز توثيق

Bibliotheque de France, bibliotheque ouverte p. 57.

وقد بدأت بالفعل المكتبة القومية الفرنسية – وبالتعاون مع دوائر النشر في فرنسا – في إطار المشروع المعروف باسم " Base Opal " بوضع ثرواتها من المقتنيات منذ عام ١٩٧٥ على الحاسبات الآلية موفرة للقارئ من خلال الشاشات الإلكترونية خدمة الإسترجاع للبيانات البيليوجرافية من خلال أسماء المؤلفين أو عناوين المؤلفات أو كلاهما معا (فهرس الفبائى) . بالإضافة الى إسترجاع موضوعى او إسترجاع من خلال الترقيم الدولى الموحد للكتب .

هذا وقد بلغ عدد التسجيلات البيليوجية المتوفرة بهذا الشكل ما يقرب من مليون ونصف منها ٦٠٪ باللغة الفرنسية و ٤٠٪ بلغات أخرى .

ومن المقترح ان يتولى القيام بهذه المهمة – أى إنشاء الفهرس القومى الموحد مجلس أعلى متميز عن " مكتبة فرنسا " وإن كانت ممثلة فيه ، حتى لاتتخذ هذه الأخيرة مظهر السلطة المشرفة على غيرها من المكتبات الفرنسية وحتى لا يلقى على عاتقها عبء ما يستهدفه المشروع من تسوية خدمات الفهرس القومى الموحد فى مختلف بلدان العالم وعبء الإتصال المستمر بالأجهزة المماثلة القائمة على تصنيف الإنتاج العلمى المنشور .

ثامنا : تسهيلات الاطلاع :

ومما يعبر تعبيرا بليغا عن طموح المشروع أنه يستهدف توفير نوعين من خدمة الإطلاع للقراء ، أولها الإطلاع فى الموقع وثانيها الإطلاع عن بعد .

ففى النوع الأول يزود كل قارئ بشاشة صغيرة تتيح إستخدام الفهرس وتسجيل طلبات الحجز للقارئ بل وتذهب الخدمة الى أبعد من ذلك ، وهو الاتصال بالمكتبات الأخرى بواسطة القارئ نفسه مقابل رسوم محددة . وبذلك يمكن للقارئ الاستفادة من التسهيلات المتاحة التى توفرها مكتبات اخرى محلية أو أجنبية . ويضاف الى ذلك إمكانية الاطلاع على نصوص المراجع التى تم تخزينها على وسائط " مليزرة " .

أما النوع الثانى وهو الإطلاع عن بعد أو خارج المكتبة من خلال الحاسبات الشخصية فى المنازل او أماكن العمل والمتصلة بخطوط الهواتف من خلال وسائط الكترونية ، أصبح سعرها فى متناول الأسرة الفرنسية متوسطة الدخل .

ومن المتوقع ان تفتح مكتبة فرنسا أبوابها إبتداء من الساعة التاسعة صباحا وحتى الساعة العاشرة مساء (علما بأن المكتبة القومية تغلق أبوابها فى الساعة الثامنة مساء ، كما إن مكتبة برنستون Prenceton توفر خدمات الإطلاع الداخلى حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وفقا لما نقله الباحثون فى التقرير المقدم للمشروع الطموح) . وذلك تلبية لمتطلبات قراء يعملون فى الساعات الإعتيادية فى مقر أعمالهم ولا تتاح لهم فرصة الزيارة إلا بعد إنتهاء فترة العمل.

كذلك يهدف المشروع الجديد إلى الإسراع بخدمة القراء وخفض فترة الإنتظار للمراجع المطلوبة الى أدنى حد ممكن(١) . ومن الوسائل المقترحة لبلوغ ذلك الهدف الإستعانة بالإمكانيات الآلية المحسبة أى إحضار المراجع بدلا من العمل اليدوى فى إستحضارها . فالعمل اليدوى فى فرنسا وأوروبا الغربية بشكل عام مرتفع الأجر وإستخدام الآلات يؤدى الى خفض التكاليف مع سرعة ودقة فى الأداء الأمر الذى يعود بالنفع على المشروع وعلى المستفيدين من خدماته .

تاسعا : خدمة القراء : موقف إيجابى بدراسة الجدوى :

ومن مظاهر العمل على خدمة القراء فى المشروع الفرنسى الجديد العمل على إستبدال الموقف السلبى للعاملين فى المكتبة (مجرد الرد على الأسئلة مع تركيز مهمة المكتبة على توفير المطلوب من مراجع) الى موقف إيجابى يعمل على مساعدة القراء مساعدة فعلية . ويتم ذلك أولا على نطاق البحث عن المراجع

---

(١) تتراوح فترة الإنتظار فى المكتبة القومية الفرنسية بين نصف ساعة وساعة كاملة فى الأحوال العادية .

المطلوبة داخل المكتبة وخارجها وإعداد قائمة ببلوجرافية ويكون إخصائى المعلومات كفيلاً بمساعدة القارئ فى بحثه عن المراجع . وثانيا فى صورة إبداء النصح والإرشاد فيما يتعلق بالتعرف على ما سوف يساعده فى عمله بالفعل . ولايخفى بطبيعة الحال ما يتطلبه هذا من تحول جذرى فى تأهيل وتعريف العاملين بالمكتبة الجديدة . ويبدو ان المستهدف ليس فقط أن توفر – مكتبة فرنسا – خدمات مماثلة لما توفره حاليا بعض المكتبات المتخصصة من قوائم ببلوجرافية متخصصة فى موضوع بحث محدد أى قوائم البحث Online Search التى توفر قوائم مستخدمة الشبكات العالمية المعروفة مثال Medline أو مثيلتها ومن التسهيلات التى يخطط لها الحصول على صور من أجزاء من مراجع معينة عن طريق مؤسسات متخصصة مثل " BLLD " بل يبدو إن المراد أن ينقلب جهاز العاملين فى مكتبة فرنسا الى شريك كامل للباحث فى مرحلة إعداد وتوفير المطلوب والمفيد من المراجع .

ولايخفى ما يفترضه ذلك من مجهود خاص فيما يتعلق بتدريب وتأهيل جهاز العاملين ، وتنويع تخصصاتهم ، ورفع مرتباتهم ، وضمان مر ضاتهم . والخطر فى هذا الصدد أن ينقلب جهاز العاملين فى مكتبة فرنسا إذا ما تحقق ذلك الى فئة أرستقراطية متميزة عن باقى العاملين فى المكتبات الأخرى ، مع كل مايجره من مشكلات ومطالبات ومقارنات ومن الوسائل المقترحة لبلوغ ذلك ، العمل على أتمته إحضار المراجع للقارئ ، أى إحلال آلات متحركة محل العمل اليدوى فى أستحضارها . ومن الحسابات الطريفة التى تمت فى هذا المضمار وتستحق التسجيل فى هذا الصدد محاولة إثبات الجدوى الاقتصادية لهذا الإجراء على النحو التالى :-

تكاليف الأتمته : ٨٠ – ١٣٠ فرنك لكل مرجع متوسط الإستخدام (نحو ٢٥٪ من المجموع الكلى) أما الباقى فمن قبيل العناصر النائمة الغير مستخدمة.

منافع الأتمته : توفير ٤/٣ ساعة إنتظار = ٦٠ فرنك (تم حسابها على أساس مرتب أستاذ معتمد) . بالإضافة الى ١٥ فرنك توفير وقت العمالة اليدوية

اللازمة ليصبح المجموع الكلى ١١٢ فرنك (٦٠ + ١٥) × ١٫٥ طلب سنويا فرضا.

ومعنى هذا إن التكلفة إذا أخذت على إنها ١٣٠ فرنك سوف يتم إستهلاكها فى ١٤ شهرا وليس من شك أن تقدير ما يزيد على ٣٥ جنيها قيمة لثلاثة أرباع ساعة إنتظار أستاذ معتمد (والمرجع لايبين هل المقصود استاذ جامعى او غيره[1]) مما يدعو الى تأمل المرتبات السائدة فى بلاد اخرى بعين الاشفاق .

عاشرا: حفظ المراجع :

وقد حظى هذا الإعتبار بدوره على إهتمام كبير فى نطاق المشروع الجديد فالعوامل الأكثر إعتداء على سلامة الكتب هى الأتربة . والتغير الملحوظ فى درجة الحرارة ، وخاصة إرتفاع درجة الرطوبة . ويستهدف المشروع إتخاذ التدابير الهندسية الكفيلة بمكافحة هذا الخطر الثلاثى إعتمادا فى الأساس على الوضع المعمارى وعلى نظام تكييف الهواء . ويضاف الى ذلك جهود بدأت المكتبة القومية بالفعل فى اتخاذها وهى العمل على خفض حموضة الورق منعا لسرعة تلفه . وتقدر الأبحاث الخاصة بذلك تكلفة هذا الإجراء بنحو ١٠٠ فرنك للكتاب الواحد ، مقارنة بزيادة فى تكاليف الطبع على ورق لا حموضة فيه قدرها ٣٠٪ من التكاليف العادية .

ولكن الوسيلة التى حظيت بأعلى إهتمام فى نطاق الأبحاث والمناقشات الدائرة حول المشروع هو نقل الكتب (أو جزء منها على الأقل) على إسطوانات تتيح حفاظا على فاعليتها لمدة عشر سنوات على الأقل دون الحاجة الى تجديد . ومن المتفق عليه أن هذه الوسيلة من جدول أعمال المستقبل لدى المؤسسة الجديدة.

---

(1) Publics de la Bibliothèque de France, Rapport de Synthese..

ومن المقترحات التى تقدم بها فريق العمل الخاص بقضية حفظ ثروة مجموعة المقتنيات ما يلى(١) :-

- مطالبة الملتزمين بالإيداع القانونى بايداع ٣ نسخ من كل مؤلف: واحدة للحفظ وأخرى لتوفيرها للقراء والثالثة للتبادل خارج فرنسا .
- العناية المتواصلة بالمراجع حفظا على سلامتها وإنشاء إدارة متخصصة لذلك مجهزة بما يلزم من أجهزة وعماله متدربة .
- العمل على تخليص المراجع من الحموضة حيث تظهر الحاجة الى ذلك مع العمل على تقوية الأوراق الهشة .
- وضع برنامج محدد بدأ منذ عام ١٩٩١ لإصلاح وتجليد والحفاظ على المراجع .
- وضع فهرس قومى للمراجع المقتناه فى شكل مصغر فيلمى .
- الإهتمام بنظام تكييف الهواء فى مخازن المراجع لمحاربة تلوث الجو وتقلبات درجات الحرارة والرطوبة .
- العمل على تدعيم وإنعاش القطاع الخاص المتخصص فى حفظ وصيانة الكتب نظرا للحاجة الى الإستعانة به تكملة لما سوف ينشأ من مرافق مماثلة فى مكتبة فرنسا .

الخلاصة

إن الدول المتقدمة تعالج موضوع تضخم أوعية المعلومات فى المكتبات الوطنية عن طريق إنشاء مكتبات قومية جديدة مع تحديد مجموعة المقتنيات ونوعيتها فى المكتبة الأم . ولكن قبل الإنشاء يتم عمل العديد من الدراسات المستفيضة تتناول مختلف فئات المستفيدين وإحتياجاتهم الفعلية من واقع ميدانى

---

(١) تم تطبيق قانون الايداع بفرنسا عام ١٥٢٧ وتصل اعداد الأعمال المودعة سنويا الى ما يقرب من ٤٠ الف عنوان .

Laudurie, E.Le Roy Bibliotheque National et Bibliotheque de France p.5

وذلك لتحديث خدمات المعلومات معتمدين فى ذلك على التكنولوجيا الحديثة واضعين نصب أعينهم الجوانب الاقتصادية من حيث النفقات والوقت.ومشروع مكتبة فرنسا صورة عصرية لما ينبغى عليه التخطيط لتطوير المكتبات القومية وخطوة إيجابية للتغلب على كثير من المشاكل ، تجعلها لنا أسوة حسنة لدار الكتب المصرية وإحياء مكتبة الاسكندرية .

فالاقتصاد فى النفقات والبعد عن المظهرية والإهتمام بعنصر الزمن أو الوقت فى تنفيذ المشروع يعظم الفائدة أو العائد منه وهذا العنصر تتضاعف أهميته فى الدول النامية لتضيق الفجوة الحضارية والإسراع بخطوات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .